٦ ــ أزواج سليمان بن عبد الملك

«سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب» وأمه «ولادة بنت العباس بن جزء بن الحارث بن زهير بن جذيمة بن رواحة بن ربيعة بن مازن بن الحارث بن قطيعة بن عبس بن بغيض» العبسية.

قال السيوطي في «تاريخ الخلفاء»: «سليمان بن عبد الملك» أبو أيوب، كان من خيار ملوك بني أمية. ولي الخلافة بعهد من أبيه بعد أخيه في جمادى الآخرة سنة ست وتسعين، روى قليلاً عن أبيه، وعبد الرحمٰن بن هُبَيْرة، روى عنه ابنه عبد الواحد والزهري، وكان فصيحاً، مفوَّهاً، مؤثراً للعدل، محباً للغزو، ومولده سنة ستين.

من محاسنه: أن «عمر بن عبد العزيز» كان له كالوزير، فكان يمتثل أوامره في الخير، فعزل عمال «الحجاج»، وأخرج من كان في سجن العراق، وأحيا الصلاة لأول مواقيتها. وكان بنو أمية أماتوها بالتأخير.

قال «ابن سيرين»: يرحم الله «سليمان»! افتتح خلافته بإحيائه الصلاة لمواقيتها، واختتمها باستخلافه «عمر بن عبد العزيز».

وكان «سليمان» ينهى عن الغناء، وكان من الأَكَلَة المذكورين، أكل في مجلس سبعين رمانة، وخروفاً، وست دجاجات، ومَكُّوكَ زبيب طائفي[1].

وكان «الوليد بن عبد الملك» قد أراد عزل أخيه «سليمان» عن ولاية العهد، وإحلال ابنه «عبد العزيز» محله، وقد وافقه على ذلك «قتيبة بن مسلم الباهلي» والي خراسان، و«الحجاج» فاضطغنها «سليمان» عليهما، ولما ولي «سليمان» كان

---

(١) تاريخ الخلفاء، ص: ١٩٩.

الموت قد أخذ «الحجاج» فأفلت من سخطه، واتجهت الأنظار إلى «قتيبة». وقد ذكر «ابن جرير الطبري» في تاريخه: عن السكن بن قتادة؛ أن «قتيبة» لما أتاه موت «الوليد بن عبد الملك» وقيام «سليمان» أشفق من «سليمان» لأنه كان يسعى في بيعة «عبد العزيز بن الوليد» مع «الحجاج»، وخاف أن يولي «سليمان»، «يزيد بن المهلب» خُراسان، قال: فكتب إليه كتاباً يهنئه بالخلافة، ويعزيه على «الوليد»، ويعلمه بلاءه وطاعته لعبد الملك والوليد، وأنه له على مثل ما كان لهما عليه من الطاعة والنصيحة إن لم يعزله عن خراسان، وكتب إليه كتاباً آخر يعلمه فيه فتوحه ونِكايَتَه، وعِظَمَ قدره عند ملوك العجم، وهيبته في صدورهم، وعظم صوته فيهم، ويذم «المهلب» و«آل المهلب»، ويحلف بالله لئن استعمل «يزيد» على خراسان ليخلعنه، وكتب كتاباً ثالثاً فيه خَلْعُه، وبعث بالكتب الثلاثة مع رجل من باهلة، وقال له: ادفع إليه هذا الكتاب، فإن كان «يزيد بن المهلب» حاضراً، فقرأه، ثم ألقاه إليه، فادفع إليه هذا الكتاب، فإن قرأه وألقاه إلى «يزيد» فادفع إليه هذا الكتاب، فإن قرأ الأول، ولم يدفعه إلى «يزيد» فاحتبس الكتابين الآخرين.

قال: فقدم رسول «قتيبة» فدخل على «سليمان» وعنده «يزيد بن المهلب»، فدفع إليه الكتاب، فقرأه، ثم ألقاه إلى «يزيد» فدفع إليه كتاباً آخر، فقرأه، ثم رمى به إلى «يزيد»، فأعطاه الكتاب الثالث، فقرأه، فتمعَّر لونه ـ تَغَيَّر ـ، ثم دعا بطين فختمه ثم أمسكه بيده.

وأما «أبو عبيدة»؛ معمر بن المثنى «فإنه قال ـ فيما حدثت عنه: كان في الكتاب الأول: وقيعة في «يزيد بن المهلب»، وذكر غدره وكفره وقلة شكره، وكان في الثاني: ثناء على «يزيد»، وفي الثالث: لئن لم تقرني على ما كنت عليه وتؤمنني لأخلعَنَّكَ خلع النعل، ولأملأنها عليك خيلاً ورجالاً.

وقال أيضاً: لما قرأ «سليمان» الكتاب الثالث، وضعه بين مثالين من المُثُل التي تحته، ولم يُجِرْ في ذلك مرجوعاً[١].

وثار «وكيع» سيد بني تميم، مع نفر من أصحابه، على «قتيبة» فقتلوه هو

(١) تاريخ الطبري (٦/ ٥٠٧ ـ ٥٠٨).

وإخوته وأكثر بنيه، فقال أحد الأعاجم سمع بقتل «قتيبة»: يا معشر العرب! قتلتم «قتيبة»، والله! لو كان منا فمات فينا جعلناه في تابوت، فكنا نستفتح به إذا غزونا وما صنع أحد قط بخراسان ما صنع «قتيبة».

وقال عبد الرحمٰن بن جمانة الباهلي:

كأن أبا حفص قتيبة لم يَسِرْ ... بجيش إلى جيش ولم يَعْلُ منبَرا
ولم تخفق الرايات والقوم حوله ... وقوفٌ ولم يشهد له الناس عسكَرا
دعته المنايا فاستجاب لربِّه ... وراح إلى الجنات عفًّا مطهَّرَا
فما رزىء الإسلام بعد محمدٍ ... بمثل أبي حفصٍ فبَكِّيهِ عَبْهَرَا

يعني: أُمَّ ولد له.

وقال الأصم بن الحجاج يرثي قتيبة:

ألم يَأْنِ للأحياء أن يعرفوا لنا ... بلى نحن أولى الناس بالمجد والفخرِ
نقود تميماً والموالي وفد حجاً ... وأزدَ وعبدَ القيس والحيَّ من بكرِ
نقتِّل من شئنا بعزة مُلكنا ... ونَجْبُر من شئنا على الخَسْف والقَسْرِ
سليمان كم من عسكرٍ قد حوت لكم ... أسنتنا والمُقْرَبَاتُ بنا تجري
وكم من حصونٍ قد أَبَحْنَا منيعةٍ ... ومن بلد سهل ومن جبل وعرِ
ومن بلدة لم يغزها الناس قبلنا ... غزونا نقود الخيلَ شهراً إلى شهرِ
مَرَنَّ على الغزو الجرور ووُقِّرت ... على النَّفر حتى ما تُهالُ من النفْرِ
وحتى لَوَ انَّ شُبَّت وأكرهت ... على النار خاضت في الوغى لهب الجمرِ
تُلاعِبُ أطراف الأسنة والقَنَا ... بِلُبَّاتِها والموت في لُجَجٍ خُضْرِ
بهن أبحنا كل أهل كل مدينةٍ ... من الشرك حتى جاوزت مطلعَ الفجرِ
ولو لم تُعَجِّلْنا المنايا لَجَاوَزَتْ ... بنا رَدْمَ ذي القرنين ذا الصخر والقطرِ
ولكن آجالاً قُضِينَ ومدةً ... تناهى إليها الطيبون بنو عمرِ(١)

وأَحَلَّ «سليمان» بعد مقتل «قتيبة» على خُراسان «يزيد بن المهلب».

وذكر «السيوطي» في «تاريخ الخلفاء»: قال يحيى الغساني: نظر سليمان في

(١) تاريخ الطبري (٦/ ٥٢١ ـ ٥٢٢).

المرآة، فأعجبه شبابه وجماله، فقال: كان «محمد ﷺ» نبياً، وكان «أبو بكر» صِدِّيقاً، وكان «عمر» فاروقاً، وكان «عثمان» حَيِيًّا، وكان «معاوية» حليماً، وكان «يزيد» صبوراً، وكان «عبد الملك» سائساً، وكان «الوليد» جَبَّاراً، وأنا الملك الشاب، فما دار عليه الشهر حتى مات[1].

وقال «أبو جعفر الطبري» حُدِّثت عن علي بن محمد قال: كان الناس يقولون: «سليمان» مفتاح الخير، ذهب عنهم «الحجاج»، فولي «سليمان» فأطلق الأسارى، وخَلَّى أهل السجون، وأحسن إلى الناس، واستخلف «عمر بن عبد العزيز»، فقال «ابن بيض»:

حاز الخلافة والداك كلاهما ... من بين سخطة ساخط أو طائعِ
أبواك ثم أخوك أصبح ثالثاً ... على جبينك نور مُلْكِ الرابعِ

وقال علي: قال الفضل بن المهلب: دخلت على «سليمان» بدابق، يوم جمعة، فدعا بثياب فلبسها، فلم تعجبه، فدعا بغيرها بثياب خضر سُوسِيَّة بعث بها «يزيد بن المهلب»، فلبسها واعْتَمَّ، وقال: يابن المهلب! أعجبتك؟ قلت: نعم، فحَسَرَ عن ذراعيه، ثم قال: أنا الملك الفتى، فصلى الجمعة، ثم لم يُجَمِّعْ بعدها، وكتب وصيته، ودعا «ابن أبي نُعَيْم» صاحب الخاتم فختمه.

قال علي، قال بعض أهل العلم: إن «سليمان» لبس يوماً حلة خضراء، وعمامة خضراء، ونظر في المرآة، فقال: أنا الملك الفتى، فما عاش بعد ذلك إلا أسبوعاً.

قال علي: وحدثنا «سحيم بن حفص»، قال: نظرت إلى «سليمان» جارية له يوماً، فقال: ما تنظرين؟ فقالت:

أنت خير المتاع لو كنت تبقى ... غير أنْ لا بقاء للإنسانِ
ليس فيما علمته فيك عيبٌ ... كان في الناس غير أنك فانِ

فنفض عمامته[2].

---

(١) تاريخ الخلفاء، ص: ٢٠٠.
(٢) تاريخ الطبري (٦/٥٤٦ ـ ٥٤٧).

وذكر الإمام «السيوطي» في «تاريخ الخلفاء»: قال «عبد الرحمٰن بن حسان الكناني»: مات «سليمان» غازياً بدابق، فلما مرض قال لرجاء بن حَيْوَة: من لهذا الأمر بعدي؟ أستخلف ابني؟ قال: ابنك غائب، قال: فابغي الآخر؟ قال: صغير، قال: فمن ترى؟ قال: أرى أن تستخلف «عمر بن عبد العزيز»، قال: أتخوَّف إخوتي لا يرضون، قال: تولي «عمر» ومن بعده «يزيد بن عبد الملك»، وتكتب كتاباً، وتختم عليه، وتدعوهم إلى بيعته مختوماً، قال: لقد رأيت، فدعا بقرطاس، فكتب فيه العهد، ودفعه إلى «رجاء»، وقال: اخرج إلى الناس فليبايعوا على ما فيه مختوماً، فخرج، فقال: إن أمير المؤمنين يأمركم أن تبايعوا لمن في هذا الكتاب، قالوا: ومن فيه؟ قال: هو مختوم، لا تُخْبَروا بمن فيه حتى يموت، قالوا: لا نبايع، فرجع إليه فأخبره، فقال: انطلق إلى صاحب الشرط والحرس، فاجمع الناس، ومرهم بالبيعة، فمن أبى فاضرب عنقه، فبايعوا.

قال «رجاء»: فبينما أنا راجع إذا «هشام» فقال لي: يا رجاء! قد علمت موقعك منا، وأن أمير المؤمنين قد صنع شيئاً ما أدري ما هو؟ وإني تخوفت أن يكون قد أزالها عني، فإن يكن قد عدلها عني فأعلمني ما دام في الأمر نفس حتى أنظر، فقلت: سبحان الله! يستكتمني أمير المؤمنين أمراً أطلعك عليه؟ لا يكون ذلك أبداً، ثم لقيتُ «عمر بن عبد العزيز» فقال لي: يا رجاء! إنه قد وقع في نفسي أمر كبير من هذا الرجل، أتخوَّف أن يكون قد جعلها إليَّ، ولست أقوم بهذا الشأن، فأعلمني ما دام في الأمر نفس لعلي أتخلص منه ما دام حياً، قلت: سبحان الله! يستكتمني أمير المؤمنين أمراً أطلعك عليه؟

ثم مات «سليمان» وفتح الكتاب، فإذا فيه العهد لعمر بن عبد العزيز، فتغيَّرت وجوه بني «عبد الملك»، فلما سمعوا: وبعده «يزيد بن عبد الملك» تراجعوا، فأتوا «عمر»، فسلموا عليه بالخلافة، فعُقِر به، فلم يستطع النهوض حتى أخذوا بضَبْعَيْه، ـ الضَّبْع ما بين الإبط إلى نصف العضد من أعلاها ـ، فدنوا به إلى المنبر، وأصعدوه، فجلس طويلاً لا يتكلم، فقال لهم «رجاء»: ألا تقومون إلى أمير المؤمنين فتبايعوه؟ فبايعوه، ومد يده إليهم، ثم قام، فَحمِدَ الله، وأثنى عليه، وقال:

أيها الناس! إني لست بفارض، ولكني منقذ، ولست بمبتدع، ولكني مُتَّبع، وإن من حولكم من الأمصار والمدن إن هم أطاعوا كما أطعتم فأنا واليكم، وإن هم أبوا فلستُ لكم بوالٍ، ثم نزل، فأتاه صاحب المراكب، فقال: ما هذا؟ قال: مركب الخليفة، قال: لا حاجة لي فيه، ائتوني بدابتي، فأتوه بدابته، وانطلق إلى منزله، ثم دعا بدواة، وكتب بيده إلى عمال الأمصار.

قال «رجاء»: كنت أظن أنه سيضعف، فلما رأيت صنعه في الكتاب، علمت أنه سيقوى.

وأضاف «السيوطي»: يروى أن «مروان بن عبد الملك» وقع بينه وبين «سليمان» في خلافته كلام، فقال له «سليمان»: يابن اللَّخْناء! ففتح «مروان» فاه ليجيبه، فأمسك «عمر بن عبد العزيز» بفيه، وقال: أنشدك الله! إمامُك وأخوك وله السِّنُّ، فسكت، وقال: قتلتني، والله! لقد زدت في جوفي أحَرَّ من النار، فما أمسى حتى مات[١].

وذكر «أبو جعفر الطبري» في تاريخه، فقال: حدثني عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: حدثني سليمان، قال: حدثي عبد الله بن محمد بن عيينة، قال: أخبرني أبو بكر بن عبد العزيز الضحاك بن قيس، قال:

شهد «سليمان بن عبد الملك» جنازة بدابق، فدُفِنَتْ في حقل، فجعل «سليمان» يأخذ من تلك التربة، فيقول:

ما أحسن هذه التربة! ما أطيبها! فما أتى عليه جمعة ـ أو كما قال ـ حتى دفن، إلى جنب ذلك القبر[٢].

وأما عن أزواجه وأبنائه، فقد ذكر «المصعب الزبيري» في «نسب قريش»: وولَدَ «سليمانُ بن عبد الملك بن مروان»، «أيوب»، كان يرشحه لولاية العهد، فمات في حياته، وأمه «أم أبان بنت أبان بن الحكم بن أبي العاصي»، و«يزيدَ بن سليمان»، و«القاسمَ» و«سعيداً» دَرَج، وأمهم: «أم يزيد بنت عبد الله بن يزيد بن

(١) تاريخ الخلفاء، ص: ٢٠٠ ـ ٢٠١.
(٢) تاريخ الطبري (٦/٥٤٩).

معاوية بن أبي سفيان» و«يحيى» و«عبيد الله»، أمهما: «عائشة بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان»، و«عبدَ الواحد بن سليمان»، قتله «صالح بن علي»، وكان والياً لمروان بن محمد على المدينة ومكة ـ حرسهما الله تعالى ـ.

وولي الحج عام الحرورية أصحاب «عبد الله بن يحيى»، لم يدر بهم «عبد الواحد» وهو واقف بعرفة، حتى تدلَّوا عليه من جبال «عرفة» من طريق الطائف، فوجَّه إليهم رجالاً من قريش، فيهم: «عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب»، و«أمية بن عبد الله بن عمر بن عثمان بن عفان» و«عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب»، فكلموهم وسألوهم أن يكفوا حتى يفرغ الناس من حجهم ففعلوا، فلما كان يوم النفر الأول، خرج «عبد الواحد» كأنه يفيض؛ فمضى على وجهه إلى المدينة، وترك ثَقَلَه ونساطيطه بمِنًى، فقال أبو الكوسج:

زار الحَجيجَ عصابة قد خالفوا ... دين الرسول ففر عبد الواحدِ
ترك القتال وما به من علةٍ ... إلا الوهونَ وعرقه من خالدِ

وأمُّ عبد الواحد: أم عمرو بنتُ عبد الله بن خالد بن أَسِيد بن أبي العيص، و«الحارثَ بن سليمان» و«عَمْراً وعمر وعبد الرحمٰن وداود، لأمهات أولاد شتى[1]. وتوفي «سليمان» لعشر خلون من صفر سنة تسع وتسعين يوم الجمعة. رحمه الله تعالى.

---

(١) نسب قريش، ص: ١٦٥ ـ ١٦٦.